الاحتفالات القومية صورة من صور التعايش السلمي في مصر زمن الدولة الفاطمية

الدكتور
مصطفى وجيه مصطفى إبراهيم
جمهورية مصر العربية
mustafa_history2010@yahoo.com

مقدمة:

من المعروف أن أهل الذمة جزء أصيل من المجتمع المصري، وليس دخيلًا، مثلهم في ذلك مثل المسلمين تمامًا؛ ولهذا نجد لغة واحدة في مصر كلها؛ ولأن أهل الذمة جزء من صميم الجسد المصري الكبير شديد التماسك والالتحام به، فقد فشلت كل محاولات الاستعمار في خلق مشكلة يضرب بها الوحدة الوطنية بين المسلمين وغير المسلمين عبر التاريخ. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث لتوضيح إلى أي مدى اشترك المجتمع المصري بكل فئاته وطوائفه في الاحتفالات والأعياد لتكون إطلاله نتعرف منها على التجانس المصري.

قبل أن نخوض البحث في الاحتفالات القومية، تجدر بنا الإشارة إلى أن المجتمع المصري في العصر الفاطمي كان يضم مسلمين سنة وهم الأغلبية وشيعة جاءوا صحبة الفاطميين، كما ضم المجتمع المصري أهل الذمة وكانوا من المسيحيين واليهود. أما المسيحيون فكانوا من القبط اليعاقبة، أصحاب المذهب المونوفيزتي أو من الملكانيين أصحاب المذهب الدوفيزيتي. ويمثل القبط اليعاقبة، الأغلبية العظمى بين أهل الذمة في مصر، بينما كان الملكانيون أقلية ضئيلة وحتى عصر المقدسي، كان القبط هم غالبية أهل الذمة في مصر، فنراه يقول عن اقليم مصر:"وعامة ذمته نصارى، يقال لهم القبط، ويهود قليل"[١]. وقد ظهرت في مصر طائفتان أخريان من المسيحيين اليعاقبة وهما، السريان من سكان بلاد الشام، والأرمن من سكان أرمنيا. وأما اليهود، فكان منهم الربانيون، والقراءون[٢]. وقد كان الاحتفال ببعض أعياد أهل الذمة قاصرا على أبناء الطائفة وحدهم[٣]، على حين شاركهم المسلمون ببعض أعيادهم[٤]. ويبدو من مصادر تلك الفترة أن اليهود على نحو خاص قد اقتصروا في احتفالاتهم على أبناء الطائفة فقط[٥]. ويبدو من المصادر العربية أن المصريين من المسلمين والمسيحيين لم يكونوا يسهمون في إحياء هذه الأعياد بشكل فعال،

وربما لم يكونوا يساهمون فيها على الإطلاق نظرا لما اشتهر به اليهود من الحرص على العزلة. أما المسيحيون فقد انفردوا ببعض الأعياد التي اتخذ الاحتفال بها شكلا عاما أو قومياً وشارك المسلمون في الاحتفال بها(٦).

وهناك احتفالات شهدت المصادر على أن هؤلاء جميعا اشتركوا معاً في إحيائها في العصر الفاطمي، لاسيما ما هو متوارث عند المصريين عبر الأزمنة خاصة ما اتصل منها بنيل مصر قوام الحياة، ومن جانبها اهتمت الدولة الفاطمية (على المستوى الرسمي) بالمظاهر الاحتفالية بالأعياد والمناسبات اهتماماً كبيراً(٧)، كتوزيع الحلوى على جميع موظفي الدولة وإقامة الموائد الضخمة التي تحوى كل ما لذ وطاب، ومن جانبهم تفنن المصريون على اختلاف دياناتهم في الطقوس الاحتفالية(٨). وبعدما أدرك الفاطميون حب المصريون لتلك الاحتفالات التي تجمعهم جنبا إلى جنب لجأوا إلى البحث عن مزيد من الأسباب التي تقربهم من الشعب الذي يحكمونه، كي تتوثق الصلة بينهم وبينه، فعملوا على إدراك الشعب لصفات كفاءتهم العسكرية، وتفانيهم في خدمة المصلحة العامة، ومراعاتهم لحقوق الرعية؛ من تقديمهم المساعدة لعامة الناس، وتحديدهم أسعار مناسبة لمختلف الحاجات الضرورية في الأسواق(٩).. وغير ذلك. لأنه لا يمكن للسلطان أن يكون ذا قيمة إلا من خلال الرعية، فالرعية هم مادة الملك، حيث أن صناعة الملك السياسية، وآلته جنده، وأعوانه وعماله وخدمه، ومادته رعيته، فالرعية هي وعاء السلطنة، والتي من خلالها تتحقق كل الصفات الملكية في الممارسة السياسية الواقعية. ومن ذلك يتضح أن الرعية تعتبر موضوعاً لسلطة السلطان، والحفاظ عليها حفاظاً على جسد الدولة، ومصدر المال الذي يحتاجه السلطان لكفالة الجند والأعوان(١٠). من هذا المنطلق جاءت اهتمامات فواطم مصر بالاحتفالات.

ولعل التطور المستمر في الطقوس الاحتفالية التي شهدتها مصر في العصر الفاطمي، سواء على المستوى الرسمي أو مستوى العامة، هو ما دفع ماريوس كانارMarius Canard إلى القول بأن الرسوم الفاطمية غامضة، ويؤكد أن الفاطميين - منافسي العباسيين - قلدوا ونّموا وتفوقوا على تقاليد الاحتفالات العباسية المستمدة من تقاليد الاحتفالات الساسانية. كما يرجح بأن الفاطميين أرادوا محاكاة العديد من الاحتفالات البيزنطية لمنافسة أبهة وعظمة بلاط الإمبراطور البيزنطي؛ كما سبق وفعل دون شك العباسيون، ويضيف أنه لا يجب أن ننسى مع ما سبق أن الفاطميين هم ورثة الفراعنة(١١) والبطالمة في مصر عبر العديد من

الأنظمة والحكومات المتتالية؛ لذلك فإننا يجب أن نبحث على الأقل فيما يخص الاحتفالات الوطنية، عن أصل محلي للعديد من خصوصيات الاحتفالات(١٢).

موضوع البحث:

وكيفما كان الأمر، فقد وصف لنا كثير من صور هذه الاحتفالات وصفاً حياً مؤرخون من أمثال ابن المأمون وابن الطوير وأكدها شاهد عيان مثل ناصر خسرو وغُليوم رئيس أساقفة صور(١٣). وفي حديثهم عن احتفالات المصريين القومية نجدهم يتحدثون عن بذخ وروعة وأبهة وعظمة، ساعدهم على ذلك أن أهل مصر "ذوو لهو وطرب وسرور(١٤)".

ولعله من المهم بل ومن المفيد أن نشير إلى أننا سنتناول الاحتفالات القومية في مصر عصر الدولة الفاطمية والتي تتمثل في اسم الاحتفال وكيفية الاحتفال وفترته وخطوطه العامة على أن نبين بقدر الإمكان ما ارتبط بها من مظاهر اجتماعية صاحبتها، على أن يكون في الاعتبار بادئ ذي بدء أننا هنا لا نرصد تاريخاً للاحتفالات التي أخذت طابع قومي في الفترة موضوع الدراسة(١٥)، بل نحاول أن نبرز أهم الملامح لكل منها التي ارتبطت بدرجة أو بأخرى بالمشاركة الاجتماعية للمصريين جميعا إبان الاحتفال في ظل التعايش السلمي الذي شهده العصر، وكانت ذات أثر فعال في حياة المجتمع المصري وانعكس على تعايشه وهو الأمر الذي انفردت به مصر دون غيرها من مجتمعات الفترات الوسيطة.

ومن أشهر الأعياد التي اتخذت طابعا قوميا في مصر الفاطمية عيد وفاء النيل وكسر الخليج، فقد كان فيضان النيل السنوي منذ القدم محط اهتمام المصريين على اختلاف مشاربهم، يرقبون موعده، ويحسبون حسابه(١٦)، ولا غرو فقد كان النيل ولا يزال، هو قوام الحياة المصرية وعليه مدارها، وكان المصريون على اختلاف عقائدهم، يهتمون بقياس مقدار الزيادة التي يسببها فيضان النهر يوما بيوم ففي السادس والعشرين من شهر بؤونة القبطي كان يؤخذ قاع النهر أي يقاس ارتفاع منسوب الماء القديم في النهر ليكون أساساً تحسب عليه الزيادة (١٧). ويبدأ إعلام الناس بمقدار الزيادة منذ اليوم التالي مباشرة. وفي عصر كل يوم يقيس المشرف على مقياس النيل في جزيرة الروضة مقدار زيادة مياه النيل(١٨). لكي يعلنها المنادون في الأسواق والطرقات حتى يطمئن الناس(١٩)، لأن الفاطميين كانوا يكتمون أمر زيادة النيل عن العامة حتى تتم الزيادة المناسبة ثم يبت قراء الحضرة

وشيوخ الجوامع يختمون القرآن بجانبه ويمد لهم السماط الذى يحوى أفخر أنواع الأطعمة من الخراف المشوية وخبز السميذ والحلواء، وتوقد عليهم الشموع حتى الصباح[٢٠]. ويبدو دورهم مشابها لدور وسائل الإعلام في عصرنا الحالي حيث نقل أخبار الفيضان اليومية إلى الناس. أما مظاهر الاحتفال بهذا العيد فكانت تتم في بداية وجود الفواطم بمصر بصورة مبسطة فقد نقل المقريزي في حوادث ذي لحجة من سنة ٣٦٣هـ/سبتمبر ٩٧٤م ركب المعز لدين الله لكسر الخليج[٢١]. ولم يزد عن ذلك لأن لو هناك ما لفت انتباهه ما تردد في روايته. وبعد عقدين من الزمان نقل المقريزي تفاصيل جديدة أدخلها الفاطميون على احتفال كسر الخليج سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م منها أن العزيز بالله ركب لفتح الخليج بالمظلة وعليه قميص ديباج مُثَقل، وتاج مرصع بالجواهر[٢٢]. وهو هما زاد زي الخليفة الفاطمي الذي اعتاد لبسه في هذه المناسبة في تلك الفترة المبكرة من عمر الدولة، ولا شك أن ذلك كان تطور جديد في الاحتفال اذ خصص الخليفة زي معين للاحتفال، فإذا كان هذا هو اللباس الذي اعتاد أن يرتديه الخليفة في سائر الأيام أو مناسبات أخرى ما اهتم بذكره ووصفه كتاب الأخبار المعاصرون. ثم زاد الأمر وصار الخليفة في بعض السنوات يصطحب ولده معه لكسر الخليج مثلما كان الأمر سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م من أخذ العزيز ولده معه في ذهابه لكسر الخليج[٢٣].

ثم شهدت الاحتفالات القومية لوفاء النيل تطورا مستمراً بعد ذلك [٢٤]، وأصبحت تبدأ منذ أن يكمل النهر ستة عشر ذراعاً (علامة الوفاء) فيبدأ منادو البحر في التصريح بعدد الأذرع، حين ذلك يركب الخليفة ويشق البلد حتى ينتهي إلى صناعة الجسر وهناك تستكمل احتفالات الخاصة والعامة [٢٥]وقد شاهد ذلك الرحالة الفارسي ناصر خسرو وقال أنه عند الوفاء "... تكون أفواه الترع والجداول مسدودة في البلاد كلها، ويحضر السلطان راكبا ليفتح هذا النهر الذي يسمى الخليج، والذي يبدأ قبل مدينة مصر (الفسطاط) ثم يمر بالقاهرة، وهو ملك خاص للسلطان. وفي ذلك اليوم تفتح الخلجان والترع الأخرى في الولايات كلها، وهذا اليوم أعظم الأعياد في مصر ويسمى عيد ركوب فتح الخليج. حينما يقترب هذا العيد ينصب للسلطان على رأس الخليج سُرادق عظيم التكاليف من الديباج الرومي وموشى كله بالذهب ومكلل بالجواهر، ويعد أعظم إعداد بحيث يتسع ظله لمائة فارس. وأمام هذا السرادق خيمة من البوقلمون وسُرادق أخر كبير. وقبل الاحتفال بثلاثة أيام يدقون الطبل

وينفخون البوق ويضربون الكوس في الإصطبل لتألف الخيل هذه الأصوات. وحين يركب السلطان يصطف عشرة آلاف فارس على خيولهم سروج مذهبة وأطواق وألجمة مرصعة، وجميع لبد السروج من الديباج الرومي البوقلمون نسجت لهذا الغرض خاصة فلم تفصل ولم تخط وطُرزت حواشيها باسم سلطان مصر، وعلى كل حصان درع أو جَوشَنّ، وعلى قمة السرج خوذة وجميع أنواع الأسلحة الأخرى. وكذلك تسير جمال كثيرة عليها هوادج مزينة وبغال عَمارياتها كلها مرصعة بالذهب والجواهر وموشاة باللؤلؤ، وإن الكلام ليطول لو وصفت كل ما يكون يوم فتح الخليج ".

ويستكمل ناصر خسرو المظاهر المختلفة للاحتفال بكسر الخليج ذاكراً أن في ذلك اليوم يخرج جيش السلطان كله فرقة فرقة وفوجا فوجا. وفي اليوم الذي ذهب السلطان في صباحه لفتح الخليج استأجروا عشرة آلاف رجل أمسك كل واحد منهم إحدى الجنائب التي ذكرها خسرو وساروا مائة مائة، وأمامهم الموسيقيون ينفخون البوق ويضربون الطبل والمزمار وسار خلفهم فوج من الجيش. مضى هؤلاء من قصر السلطان حتى رأس الخليج، أتت الجمال وعليها المهور والمراقد ومن بعدها البغال وعليها العَماريات.

وقد شاهد ناصر خسرو السلطان في هذه المناسبة "... يركب على بغل ليس في سرجه أو لجامه حلية فليس عليه ذهب أو فضة، وقد ارتدى قميصاً أبيض عليه "فوطة" فضفاضة كالتي تلبس في بلاد المغرب والتي تسمى في بلاد العجم "دراعة" وقيل إن اسم هذا القميص "الديبقي" ويساوي عشرة آلاف دينار، وكان على رأسه عمامة من لونه ويمسك بيده سوطا "قضيبا" ثمينا، وأمامه ثلاثمائة راجل ديلمي عليهم ثياب رومية مذهبة وقد حزموا خصورهم وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر ومعهم النشاب والسهام وقد عصبوا سيقانهم، ويسير مع السلطان حامل المظلة راكباً فرساً وعلى رأسه عمامة مذهبة مرصعة وعليه حلية قيمتها عشرة آلاف دينار ذهبي مغربي، والمظلة التي بيده ثمينة جدا وهي مرصعة مكللة. وليس مع السلطان فارس غير حامل المظلة وقد سار أمامه الديالمة، وعلى يمينه ويساره جماعة من الخدم يحملون المجامر ويحرقون العنبر والعود... وجاء بعد ذلك الوزير مع قاضي القضاة وفوج كبير من أهل العلم وأركان الدولة. وقد ذهب السلطان إلى حيث ضرب الشراع على رأس سد الخليج وظل ممتطيا البغل تحت السرادق مدة ساعة. وبعد

ذلك سلموه مزراقا ليضرب به السد، ثم عجل الرجال بهدمه بالمعاول والفؤوس والمخازف، فنساب الماء وقد كان مرتفعا وجرى دفعة واحدة في الخليج.."[٢٦].

وفي أثناء ذلك يصل السماط من القصر، فيوضع في خيمة واسعة معدة لذلك فتوزع الأطعمة على شهود الاحتفال، وكان الطعام يقدم في صوان محمولة بمرافع من الفضة، يحملها الفراشون وقد غطت الأطعمة الشهية الرائحة بأغطية من حرير، وكان يخص الوزير في هذا اليوم ثلاث صواني عليها تماثيل الحلوى ويخصص منها لأولاده وإخوته أيضاً، وكذلك يحمل من هذا العام إلى قاضى القضاة والشهود والأمراء وبعد تناول الحاضرين الطعام يفرق منه على سبيل البركة[٢٧]، كما يصنع من أصناف الحلوى في دار الفطرة ما قيمته سبعة آلاف دينار وتوزع على الناس بهذه المناسبة[٢٨] وجدير بالذكر أن هذا العيد كان من الأعياد التي توزع فيها الخبز في مصر في العصر الفاطمي [٢٩]، فيقول ابو المحاسن في حوادث سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م"... إذا كانت ليالي الوفاء حمل إلى المقياس من المطابخ نحو عشرة قناطير خبز، وعشرة خراف مشوية، وعشر جامات حلوى[٣٠]..." توزع على جميع الحاضرين من المصريين المسلمين والمسيحيين وكذلك اليهود الموجودين في الموضع المشار اليه أنفا[٣١] لأن من ماء النيل سوف يزرعون جميعا ويصنعون ويبيعون وبدونها سيموتون جميعاً.

وجدير بالذكر أن تنوع الأعياد والاحتفالات في مصر الفاطمية وتعددها، كان له أثرٌ كبير في ازدهار صناعة الحلوى؛ إذ حرص الفاطميون على اقتران هذه الأعياد والاحتفالات بتوزيع أنواع من الحلوى فيها على الخاصة والعامة[٣٢] لذلك كانت توزع الحلوى في عيد كسر الخليج على سبيل المثال.

وقد أشار المقريزي إلى نفس الأمر في سنوات أخرى مما يؤكد التزام الدولة بتلك المظاهر الاجتماعية في كل احتفال بعيد كسر الخليج، فقد روى شيخ المؤرخين أنه كان يحمل من القصور الفاطمية برسم الاحتفال بيوم فتح الخليج الكثير من أنواع الخبز، ففي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله[٣٣] سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م "... أمر بإطلاق ما يخص المبيت في المقياس بجميع الشهود والمتصدرين، وهي العشرات، من الخبز عشرة قناطير، وعشرة خراف شوي، وعشر جامات حلوى..."[٣٤].

وقد شاهد الرحالة ناصر خسرو في رحلته صورة التكافل الاجتماعي للمصريين جميعا

في عيدهم القومي في ظل التعايش والود والصداقة التي سادت المجتمع المصري جميعه في العصر الفاطمي قائلا"... وفي هذا اليوم يخرج جميع سكان مصر والقاهرة للتفرج على فتح الخليج وتجري فيه جميع الألعاب العجيبة...".

وهذه العبارة الأخيرة تدل على الحريات الاجتماعية التي مورست من قبل جميع سكان مصر مسلمين وغير مسلمين[٣٥] داخل إطار الحياة العامة للمجتمع ككل. والمهم لدينا أن غير المسلمين شاركوا إخوانهم المسلمين في مثل تلك المظاهر، ولا شك أن ذلك راجع إلى إدراك أهل الذمة المصريين - كما أدرك غيرهم - أهمية نهر النيل في حياة مصر والمصريين باعتباره شريان الحياة الرئيس للبلاد وساكنيها، ومن ثم فكان طبيعيا أن يتفننوا في الاحتفال به لأنه احتفال بحياتهم.

ولم تكن تلك الصور فقط هي صور التعايش بين أفراد المجتمع المصري في العصر الفاطمي في الاحتفال بكسر الخليج، فقد جرت العادة أن يقوم عامة أهل مصر على اختلاف عقائدهم بالاحتفال بذلك العيد بتزيين الدور والأسواق والاحتشاد لرؤية الموكب الذي يشق القاهرة ومصر في ذهابه لكسر الخليج والعودة ثانية بنفس الأبهة والعظمة، كما أن العامة كانوا يقومون بتخليق وجوه أطفالهم بالطيب تيمنا بتخليق عمود المقياس في ذلك اليوم[٣٦].

ولم تكن احتفالات وفاء النيل وكسر الخليج هي المظهر الاجتماعي الوحيد المرتبط بنهر النيل وأخذ صورة قومية؛ بل إن من الأعياد الدينية الطابع ما ارتبط بالنهر ارتباطاً مباشراً مثل عيد الشهيد وعيد النيروز.

وقد اتخذ الاحتفال بعيد الشهيد طابعا دينيا وقوميا في آن واحد، وكان موعده السنوي في ثامن شهر بشنس[٣٧] القبطي ويتم الاحتفال على شكل مهرجان كبير على ساحل النيل بناحية شبرا. وهو يرتبط بما كان أقباط مصر آنذاك يعتقدونه من أن النيل لا يزيد في موسم الفيضان إلا بعد غسل أصبع أحد القديسين في مائه. وكان هذا الأصبع يحفظ في تابوت بكنيسة في شبرا، وقيل أنه أصبع أحد أسلافهم من الشهداء[٣٨].

وفي هذا العيد يتوافد الأقباط من شتى أنحاء البلاد، كما يخرج أهل العاصمة على اختلاف أديانهم واهتمامتهم إلى ساحل شبرا لمشاهدة هذا الاحتفال الضخم حيث تقام الخيام بأعداد هائلة على ساحل النيل وفوق الجزر التي وسط مجراه، حيث يجتمع المغنون والمغنيات

وأرباب الملاهي والألعاب المختلفة، ويحفل المهرجان بشتى صنوف اللهو والفرح والمرح، ويقبلون على شراء الخمور لاشتهار المنطقة بزراعة الكروم، وصناعة النبيذ وكان أهل شبرا يعتمدون في وفاء مستحقات مع عليهم من خراج على ما يبيعونه من خمور في هذا اليوم(٣٩).

ويشير الدكتور عبدالمنعم سلطان إلى أن المصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى شيئاً عن موقف الدولة الفاطمية من هذا العيد وما يحدث فيه من المبالغة في الاحتفال والفسق والتهتك والإكثار من شرب الخمور(٤٠)، على عكس قرارات التهديد التي كانت تصدرها الدولة في مناسبات أخرى تحذر فيها العامة من التمادي في الغي، والزجر والتهديد لمن يحيد خلال الاحتفالات عن الأخلاق العامة.

ولا شك أن عدم صدور مراسيم مقيدة لاحتفال المصريين بعيد الشهيد راجع إلى أن هذا العيد كان في مظهره يوما شعبيا يخرج فيه الناس على اختلاف دياناتهم وطبقاتهم للتنزه والاستمتاع بالغناء والطرب، واحتساء الخمور ولم يكن يخص ديانة أو عقيدة، رغم ارتباطه بإلقاء التابوت المذكور(٤١).

وثمة عيد قومي آخر هو "عيد النيروز(٤٢)"، وهو عيد رأس السنة القبطية في أول شهر توت(٤٣). ويغلب على الظن أن عادة الاحتفال بهذا العيد متوارثة عن قدماء المصريين على الرغم من اسمه الفارسي -ومعناه اليوم الجديد-، فقد كان المصريون في عصر الفراعنة يحتفلون بهذا العيد إكراماً لنهر النيل. وقد اعتبر هذا العيد عيد الربيع الذي تبدأ بعده زيادة مياه النهر الذي يستكمل مياهه في الخريف أو أواخر الصيف(٤٤)" وربما ذلك يعد تفسيرا معقولا لمشاركة أطياف المجتمع المصري جميعها، بغض النظر عن دياناتهم في الاحتفال بهذا العيد.

وكان الاحتفال بالنيروز يأخذ شكل الاحتفالات القومية، العمة التي يشترك فيها المجتمع المصري كله، فيكون اليوم بمثابة عطلة عامة، فتغلق الأسواق وتعطل معها المدارس في ذلك اليوم. قال عنه المقريزي عن عيد النوروز زمن الفاطميين "وكان النوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم فتتعطل فيه الأسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز..."(٤٥).

وقد نقل المقريزي أيضاً عن ابن زولاق مظاهر الاحتفال التي كانت تتم إذ يقوم المصريون في هذا اليوم برش الماء في الشوارع ويشعلون النار ويطوفون بالأسواق وهم

حاملين تمثال على شكل فيل وتماثيل وعرائس ملونة وهم يعرضون ألعابهم ومضاحكهم ويذكر المؤرخون وأول إشارة للاحتفال بهذا العيد في العصر الفاطمي في عهد الخليفة المعز سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) ويبدو أن المعز أراد أن يمنع الاحتفال بالنيروز في هذا العام لما كان يجرى فيه من تعاطي الخمور علانيةً وما يصحب ذلك من مظاهر الانحلال والتهتك، فمنع المعز من وقود النيران وصب الماء في الطرقات يوم النيروز(٤٦)، ولكن المعز لما يتسم به من الكياسة والرغبة في كسب قلوب رعاياه، خفف قبضته بعض الشيء ففي العام التالي انطلق الناس للاحتفالات بالنيروز وانتشر اللعب بالماء ورشوا على بعضهم البعض وإيقاد النيران، وطاف المحتفلون الأسواق وهم يحملون تماثيل على شكل فيل، و تماثيل وعرائس ملونة وهم يعرضون ألعابهم ومضاحكهم واستمروا على هذه الحال لمدة ثلاثة أيام وخرجوا عن الحد لذلك مما دفع المعز إلى إصدار أوامره بالكف عن ذلك ومنع إشعال النيران واللعب بالماء، وقبض على جماعة وحبسوا وشُهِّر بالبعض الآخر على الجمال لعدم التزامهم بالأوامر(٤٧).

كما كان من مظاهر احتفال المصريين جميعا بعيد النيروز هو أن يركب أحد العامة على حمار ويسمونه "أمير النوروز" ومعه جمع كثير من المصريين ويتسلط على الناس في طلب أموال فرضها على دور الأكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير "... ويندب متمرسين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات..." ويتجمع عدد كبير من المحتفلين تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الأصوات وتشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالأقذار وإن خرج شخص ما لقاء أمر يهمه في هذا اليوم لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فإما فدى نفسه بمال وإما فضح، واستجد زيادة على هذه الاحتفالات سنة ٥٩٢هـ التراجم بالبيض والتصافح بالأنطاع(٤٨).

واستمر الاحتفال بالنيروز في عهد خلفاء المعز، فاحتفل به في عهد الخليفة العزيز "وكان من عادة الناس أكل الرطب قبل النيروز" (٤٩).

ويبدو أن هذا الاحتفال كانت رسوم متبعة في الدولة الفاطمية ولم تذكر هذه الرسوم إلى في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله فيذكر ابن المأمون تفاصيل الاحتفال بيوم النيروز سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) وكان يوافق التاسع من رجب. وكانت توزع بهذه المناسبة على أسباب

الرسوم أصناف معينة من الفاكهة وهى البطيخ والرمان والموز والتمر والسفرجل، ومن الأطعمة الهريسة المصنوعة من الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر بالإضافة إلى الخبز(٥٠). وكان يختص بالأموال والكسوات حاشية القصر ودار الوزارة والمستخدمون ورؤساء السفن وبحارتها، أما الفاكهة والأطعمة فكانت تشمل جميع أرباب الرسوم والوظائف في الدولة(٥١).

وكان من عادة الخليفة الآمر الركوب يوم النيروز إلى منظرة اللؤلؤة المطلة على الخليج وكان بها قصر من أعظم القصور وأجملها زخرفة، وكانت تطل على البستان الكافوري، وتعد من أجمل المتنزهات في مصر(٥٢)، فيجلس الخليفة لمشاهدة مظاهر الاحتفال بالنيروز، ويتجمع أسفل المنظرة أهل الطرب والغناء والموسيقى، ويحتشد حولهم الناس فيغنون ويطربون ويشربون الخمور علانية ويتراشون بالماء والخمر وتأخذ الجميع حالة من المرح والانطلاق الذي يصل إلى حد التهتك والفجور(٥٣).

وكان لهذا الاحتفال تقاليد معينة ذكرها ابن المأمون في حوادث سنة ٥١٧ه اذ وافق عيد النيروز في العام المذكور التاسع من رجب وقد وصلت بهذه المناسبة الكسوة التي جرت العادة على توزيعها بمناسبة النيروز "... من الطراز وثغر الإسكندرية مع ما يبتاع من المذاب المذهبة والحريري والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأسماء أربابها..."(٥٤)، علاوة على فاكهة معينة توزع في ايام الاحتفال بالنوروز من البطيخ والرمان وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصي إذ جرت العادة على أكل الناس التمر قبل النوروز(٥٥) علاوة على أقفاص السفرجل والهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر..وغير ذلك من الأطعمة والفاكهة والحلوى التي خصصت لهذا العيد(٥٦). ولها حسابات يؤكد ذلك ما رواه ابن المأمون من أن كاتب الدفتر أحضر الإثباتات بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها وغير ذلك من جميع الأصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة(٥٧).

وهناك مناسبة مصرية/قومية /دينية أخرى ذكرها المسعودي في مروج الذهب قائلا: أنه كان "... لليلة الغطاس شأن عظيم عند أهلها، لا ينام الناس فيها..."(٥٨). وكان أهل مصر في ذلك اليوم على اختلاف مللهم ومذاهبهم وأيضا على اختلاف طبقاتهم(٥٩)، يبدون

فرحهم، ويظهرون الطيب مما لا يتحقق لهم في سائر أيام السنة [٦٠].

وعلى الرغم من أن عيد الغطاس مناسبة دينية بحتة[٦١]، ففيها هي الأخرى شارك المسلمون اخوانهم المسيحيون في الاحتفال بهذا العيد، وليس أدل على ذلك من أن متولي الشرطة في مصر الفاطمية كان يخرج في أول الليل في موكب كبير وقد أرتدى أجمل ثيابه، ويحيط به حملة المشاعل والشموع الموكبية، ويطوف في الطرقات مناديا في الناس أن لا يختلط المسلمون مع النصارى في تلك الليلة حتى يمارس النصارى شعائرهم في سلام[٦٢]، وهذا يدل على أن المسلمين والمسيحيين كانوا نسيجا واحدا في العصر الفاطمي احتفالاتهم واحده مطعمهم واحد.. وغير ذلك، كما يبين أن المشاركة الإسلامية في تلك الأعياد كانت كبيرة الأمر الذي دفع السلطات الحاكمة إلى المناداة بترك المسيحيين يحتفلون دون التضييق عليهم والتضييق هنا ليس معناه الموانع ولكن يعني الازدحام في الشوارع وأماكن التنزه.. التي كان النيل أبرزها حيث يذهب المصريون للنيل منذ بزوغ الفجر ويغطسون فيه ومن كثرة الزحام كانت تحدث كثير من حوادث الغرق في هذا اليوم نتيجة تزاحم الناس ووجود عدد كبير من الصبية الذين يصعب احكام مراقبتهم والتحكم في حركتهم[٦٣].

وبداية من سنة ٤١٥هـ بدأ احتفال الغطاس يأخذ طابعا رسميا يشارك فيها الخلفاء أنفسهم الأمر الذي يبين وصول مجتمع مصر آنذاك إلى ذروة التعايش السلمي بل يعد العصر الذهبي للتعايش السلمي، ففي السنة المذكورة - كما ينقل المقريزي عن المسبحي - أذن للأقباط في بإظهار طقوسهم والاحتفال بالغطاس، فاحتشد المسلمون والأقباط على ضفتي النيل أمام المقياس، وضربت أعداد كبيرة من الخيام ووضعت بها الأسِرَّة لأعيان القبط وقد اكتظ النيل بالمراكب والزوارق وازدحم فيها خلق كثير من العامة والخاصة، مسلمين ونصارى، وعند دخول الليل زينت المراكب بالقناديل واشتعلت الشموع، كما اضيئت الشواطئ، بآلاف المشاعل والفوانيس[٦٤]. ونزل الخليفة الظاهر[٦٥] بأحد المناظر المطلة على النيل، لمشاهدة الاحتفال، ومعه نساء القصر، وأمر متولي الشرطة بحفظ النظام، ومراقبة الناس، ونودي بألا يختلط المسلمون بالنصارى عند نزولهم النيل، فضرب متولي الشرطة خيمته عند الجسر، لمراقبة الاحتفال ومعه أعوانه، وحضر الرهبان ورجال الدين المسيحي يحملون الصلبان وحولهم الشموع ورتلوا صلواتهم وأدعيتهم حتى تم الغطاس[٦٦].

وهكذا يتبين أن صورة الاحتفال بالغطاس - القومي/المسيحي- كانت مظاهره كالتالي أن تنصب الخيام على شاطئ النيل، ويمتلئ النيل بالزوارق والمراكب التي توقد فيها الأنوار ليلا، حيث يشعل في تلك الليلة أكثر من ألف مشعل على الشطوط، ولا يغلق فيها دكان ولا درب ولا سوق، ويتبادل الناس في هذه الليلة الهدايا من أصناف الطعام والحلوى المختلفة[٦٧]، وكانت العادة أن يضاء سوق الشماعين وكانت حوانيته لا تزال مفتحة إلى نصف الليل حيث يقصدها كثير من الناس[٦٨].

وكان من رسوم الدولة أن يفرق على جميع أهل الدولة[٦٩] النارنج والليمون والقصب والسمك والبوري برسوم مقررة[٧٠]. كما يتم توزيع حلواء القاهرية مع أنواع الأطعمة على رؤساء الأقباط في هذه الليلة[٧١]. ويبدو أن القاهرية كانت غالية الثمن، لهذا قال أحد الأزواج عن الحلوى القاهرية لضيق ذات اليد:

ولى زوجة إن تشتهى قاهرية أقول لها: ما القاهرية في مصر[٧٢]

ويشير أحد الباحثين[٧٣] أنه رغم أن سنة ٤١٥هـ كانت من سنوات الشدة في الدولة الفاطمية حيث تعرضت البلاد فيها لمجاعة وانتشرت الأمراض وهلك كثير من الناس فيها من الأمراض، إلا أن الظاهر أصر على مشاركة المجتمع احتفالاته بهذا العيد، حتى أن الظاهر أثناء عودته من الاحتفال بالغطاس من النيل إلى قصره وجد في الطريق جثث بعض الناس طرحت بعد أن أصيب أصحابها وماتوا في تلك الليلة، فأمر لهم بأكفان ونفقة لدفنهم[٧٤].

وذلك يوضح أن مصر آنذاك عاشت أقصى مظاهر المشاركة بين المسلمين والذميين، فرغم ما ابتليت به البلاد من مسغبة في هذا العام إلا أن الخلفاء لم يحرموا الأقباط من الاحتفال بعيدهم واظهار طقوسهم، ليس هذا فحسب بل شارك الخليفة نفسه الأقباط احتفالهم ليكرث مبدأ التعايش السلمي بين رعيته، وحرص المسلمين على مشركة إخوانهم المسيحيين عيدهم والاحتفال معهم وممارسة بعض الألعاب مع بعضهم البعض.

كما احتفل المصريون بعيد خميس العهد[٧٥] وقد سمي في مصر خميس العدس لأن مسيحي مصر كانوا يطبخون فيه العدس المصفي ويسميه أهل الشام خميس الأرز أو خميس البيض[٧٦]،. ويطلق عليه أهل الأندلس "خميس إبريل"، لأنه يقع في شهر

إبريل[٧٧] وربما الاختلاف في التسميات راجعه إلى نوع الطعام الذي اشتهر به أهل كل إقليم بتناوله في هذه المناسبة.

وكان الفاطميون يحتفلون بهذا العيد مشاركة لرعاياهم من الأقباط ومن رسومهم فيه ضرب نقود تذكارية من الذهب تسمى خراريب (جمع خروبة) توزع على رجال الدولة من المسلمين والمسيحيين بمقادير معلومة [٧٨].

وعلى المستوى الشعبي فكان من عادة أهل مصر من المسلمين والمسيحيين تبادل الهدايا والأطعمة في خميس العهد فيتهادون البيض الملون الذي يباع بكثرة في أسواق القاهرة في هذه المناسبة، كما يتهادون أنواع السمك المختلفة والعدس المصفى[٧٩]. وقد جرت عادة أهل الإسكندرية أن يذهبوا في هذا اليوم إلى منارة الإسكندرية ومعهم المآكل والمشارب ومن بينها العدس، فيمكثوا إلى منتصف الليل ثم ينصرفون"[٨٠].

وفي عيد الميلاد[٨١] كان المصريون يحتفلون بعيد ميلاد السيد المسيح، وكانوا يشتركون جميعا في هذا الاحتفال باعتباره واحدًا من أهم الأعياد في البلاد. وكان من المواسم المشهورة بديار، وكان الرعية يظهرون بهجتهم وسرورهم بهذه المناسبة، وكانت الدولة الفاطمية تشاركهم في احتفالهم بهذا العيد، فتوزع على كبار رجال الدولة من الأستاذين المحنكين والأمراء على سائر رتبهم والكتاب وغيرهم أصناف مختلفة من الحلوى وشراب الجلاب وصواني الزلابية وسلال السمك البوري، والخبز المصنوع من الدقيق الأبيض[٨٢]، وكان المصريون يصنعون بمناسبة هذا العيد نوعاً من العصيدة ويزعمون أن من يأكلها يتقى البرد طوال العام[٨٣].

وتؤكد المصادر التاريخية أن الاحتفال بعيد الميلاد المجيد كان احتفالًا مصريًا عامًا منذ العصر الفاطمي على الأقل واستمر الحال كذلك إلى عصر المماليك، ولو عدنا إلى ما قاله شيخ المؤرخين المصريين وكبيرهم تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المشهور بخطط المقريزي، والذي يعد سجلًا لتاريخ مصر الاجتماعي في العصور الوسطى، نجده يعد "ليلة الميلاد" ضمن الأعياد المسيحية الكبرى في مصر حتى عصره (النصف الأول من القرن الخامس عشر)، فيقول: "اعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية، وأعيادهم الآن التي هي مشهورة بديار مصر، أربعة

عشر عيداً في كل سنة من سنينهم القبطية: منها سبعة أعياد يسمونها أعياداً كباراً، وسبعة يسمونها أعياداً صغاراً. فالأعياد الكبار عندهم: عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خميس الأربعين وعيد الخمسين وعيد الميلاد وعيد الغطاس "....ويقول في موضع آخر من خططه: "الميلاد وهو اليوم الذي ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم. والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيداً، وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كيهك، وما برح لأهل مصر به اعتناء. كما يقول: "وسنتهم فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزينها... ولم يزل بمصر من المواسم المشهورة.."

ويصف المقريزي احتفالات عيد الميلاد في أيام الدولة الفاطمية، التي بلغ في عصرها اهتمام الدولة بالاحتفالات الشعبية أقصى مداه، مؤكداً أن الدولة كانت تعتبر هذا العيد من بين الأعياد الرسمية التي كانت تفرق فيها الأطعمة من قصر الخليفة على أرباب الرسوم من الأمراء وكبار رجال الدولة من المدنيين والعسكريين وعلية القوم عموماً ويذكر نقلًا عن مؤرخي ذلك العصر وكتابه: "... وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية(٨٤)، والمتارد فيها السمك، وقرابات الجلاب وطيافير الزلابية والبوري. فيشمل ذلك أرباب الدولة أصحاب السيوف والأقلام، بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون في تاريخه..."(٨٥).

ويصف مظاهر الاحتفالات الشعبية بعيد الميلاد في العصر الفاطمي ناقلًا عن ابن الرقيق القيرواني في تاريخه رواية عن الأديب محمد الكهيني قوله: "... ما رأيت قط أجمل من أيام النوروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين، وغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا يسخون فيها بأموالهم رغبة في القصف والعزف، ذلك أنه لا يبقى صغير ولا كبير إلا خرج إلى بركة الحبش متنزها، فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادقات والقباب والشراعات، ويخرجون بالأهل والولد، ومنهم من يخرج بالقينات المسمعات المماليك والمحررات، فيأكلون ويشربون ويسمعون ويتفكهون وينعمون..."

وتشير الرواية الأخيرة إلى حماية الدولة للاحتفال حيث يقول الكهيني: "فإذا جاء الليل أمر الأمير تميم بن المعز مائتي فارس من عبيده بالعسس عليهم في كل ليلة إلى أن يقضوا من اللهو والنزهة أربهم وينصرفوا...".

أما عن الاحتفال بعيد الميلاد في عصره هو، أي أواخر القرن الرابع عشر وبدايات القرن الخامس عشر، عندما كان المصريون جميعهم من مسلمين ومسيحيين يحتفلون بالعيد، فيقول المقريزي: "وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر إقليم مصر موسمًا جليلًا، يباع فيه من الشموع المزهرة بالأصباغ المليحة والتماثيل البديعة بأموال لا تنحصر، فلا يبقى أحد من الناس أعلاهم وأدناهم حتى يشترى من ذلك لأولاده وأهله. وكانوا يسمونها الفوانيس، ويعلقون منها في الأسواق بالحوانيت شيئًا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة. ويتنافس الناس في المغالاة في أثمانها، حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها ألف درهم وخمس مائة درهم فضة، عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالًا من الذهب." كما يذكر أنه شاهد المتسولون في الطرقات أيام هذه المواسم يطلبون التصدق عليهم بالشموع فيقول: "وأعرف السُّؤال في الطرقات أيام هذه المواسم، وهم يسألون الله أن يتصُدق عليهم بفانوس، فيُشتري لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ."ويبدو أن الاحتفال بدء يتراجع مع الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي ضربت مصر في القرن الخامس عشر، ويقول في ذلك: "ثم لما اختلت أمور مصر، كان من جملة ما بطل من عوائد الترف عمل الفوانيس في الميلاد إلا قليلًا [٨٦]".

ومن الأعياد المسيحية التي شارك فيها المسلمون أيضا في ظل إيمان المجتمع المصري بالتعايش بين جميع أفراده والحرص على المشاركة المجتمعية في أي احتفال عيد الخروج لسجن يوسف بالجيزة.

حيث جرت العادة فيه أن يقوم عامة مصر والسوقة بالطواف على أسواق البلد بالطبول والبوقات ليجمعوا ما ينفقوه في خروجهم إلى السجن، حتى أنه حدث في سنة ٤١٥هـ أن اشتد الغلاء، فامتنع التجار عن الدفع، فأمر الخليفة الظاهر بأن يدفعوا ما جرت به العادة في هذا اليوم وأن تطلق لهم الدولة ضعف ما أطلق للمحتفلين في السنة الماضية، فخرجوا إلى السجن ومعهم التماثيل والمضاحك والخيال والحكايات كما خرج الخليفة الظاهر في جميع من معه من خاصته وحرمه وأقام يومين وشهد هذا الاحتفال، وأقام أهل الأسواق نحو أسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والتماثيل ويطوفون في القاهرة ليشاهدهم الخليفة الذي كتب لهم سجلا بأن لا يعارضهم أحد منهم في ذابه وعوده[٨٧]..

ويجب التنبيه على أن حالات مشاركة المسلمين والمسيحيين الاحتفال بالأعياد كثيرة وتتأبى على الحصر، والشاهد من دراسة حالة المجتمع المصري في العصر الفاطمي يلاحظ أن المسلمين والمسيحين لم يتركا مناسبة إلا واشتركوا فيها في ظل طقس التسامح العام الذي شمل البلاد. بل لا نبالغ اذا قلنا أن المسلمين احتفلوا مع المسيحيين بكل اعيادهم دينية الطابع، وشاركوهم احتفالاتهم وقدموا لهم التهنئة والهدايا، وكان الخلفاء الفاطميون في معظم الأوقات يظهرون قدرا كبيرا من التسامح مع رعاياهم من المصريين غير المسلمين ويشاركونهم الاحتفال بالابتهاج بأعيادهم ويهبون لهم فيها الأكسية والأطعمة والأموال.

وكانت هذه الأعياد مناسبة للانطلاق والترويح عن النفس، وتعد من أيام اللهو والغناء والطرب، وكان أهل مصر على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم وديانتهم يخرجون في أيام النوروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغيره من الأعياد القبطية إلى المتنزهات، وخاصة "بركة الحبش"(٨٨)، فكان يُنصب فيها الخيام على اختلاف أنواعها وأحجامها، ويقيم فيها الناس بأهلهم وأولادهم وبصحبتهم المغنيات والراقصات، فيأكلون أشهر الأطعمة، ويشربون الخمور ويطربون بسماع الغناء ويتفكهون ويمزحون، وكان الأمير تميم بن المعز يحتفل بهذه المناسبات بما عُرف عنه من حب الغناء والطرب والشراب، فإذا جاء الليل أمر الأمير تميم بن المعز مائتي فارس من عبيده بالعسس عليهم في كل ليلة إلى أن يقضوا من اللهو والنزهة إربهم، وينصرفوا فيسكرون وينامون كما ينام الإنسان في بيته، ولا يضيع لأحد منهم ما قيمته حبة واحدة، ويركب في عشاره ويتبعه أربعة زواريق مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً، " فإذا مر على طائفة واستحسن غنائهم صوتاً، أمرهم بإعادته وسألهم عما عز عليه، فيأمر لهم له ويأمر لمن يغنى لهم، وينتقل منهم إلى غيرهم في مثل هذا الفعل عامة ليله، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه التي على هذه البركة فلا يزال في هذه الحالة حتى تنقضي هذه الأيام ويتفرق الناس "(٨٩).

الخاتمة:

أولًا: مما سبق تبين أن الدولة الفاطمية تمتعت بثراء عريض لم تعرفه الدول الإسلامية المعاصرة لها، وانعكس هذا الثراء إلى بذخ وإسراف في مظاهر احتفالها بالأعياد والمواسم التي أبدعوا في تنظيمها وأنفقوا عليها دون حساب، حتى يخيل لمن يقرأ

تفاصيل الاحتفال بالأعياد والمواسم والمناسبات المختلفة في ذلك العصر، أن أيام الدولة كانت كلها أعياداً وأعراساً، فلم يترك الفاطميون مناسبة دينية كانت أو مذهبية خاصة كانت أو عامة إلا وأطلقوا فيها العنان ببذخهم وتأنقهم معتمدين على ثرى دولتهم، وكأنهم أرادوا أن يُظهروا لأعدائهم مدى ما هم عليه من ثراء وقوة فلا تحدثهم أنفسهم بالخروج عليهم، وكأنهم أرادوا أن يلهوا رعيتهم عن أمور السياسة وما يقال من الطعن في نسبهم وأحقيتهم في الخلافة. فأكثروا من الاحتفالات التي كانت تنثر فيها الأموال على العامة، وتقام فيها الموائد الضخمة، والمواكب المهيبة التي تجذب إليها الأنظار والقلوب.

ثانيًا: كانت الاحتفالات القومية بما تحويه من مظاهر الفخامة والبذخ من النادر أن نجد لها مثيلاً في أية عصر من العصور الإسلامية، وكانت معظم هذه الاحتفالات يشارك فيها الخليفة وكبار رجال الدولة، طبقاً لرسوم دقيقة وتقاليد ثابتة، أخذت طابعها منذ دخول الفاطميين مصر، ثم رَسخت مع الوقت في المجتمع المصري حتى أصبحت أساساً لمعظم الاحتفالات التي قامت في الدول التي أعقبت حكم مصر بعد الفاطميين، وخاصةً دولة المماليك إلا ما فيما يتعلق فيها بالأعياد الشيعية. وما زال آثار بعض هذه الأعياد قائماً حتى الآن شاهداً على عظمة الدولة الفاطمية وتأثيرها في المجتمع المصري

ثالثًا: يتضح أن أهل الذمة قد شملتهم رعاية الدولة على الصعيد الاجتماعي وساكنوا المسلمين في المدن القديمة والأمصار الإسلامية وظلوا يحتفلون بأعيادهم في حرية تامة يشاركهم المسلمين هذه الاحتفالات في بهجة وسرور، لأنهم عاشوا الأقباط في بيئة مصرية واحدة ومناخ واحد، فيأكلون من خبزها ويشربون من نيلها ويستظلون بسمائها وتتجاور منازلهم وتتصافح قلوبهم. وعلى ذلك فإن البيئة المصرية الواحدة من شأنها أن تصنع موروثًا شعبيًا واحدًا. لذلك برزت أسماء مصرية كثيرة لأهل الذمة في مجالات مختلفة مؤكدة ما اتيح لهم من حرية التعليم والمشاركة الفعلية في مجتمع مصر الفاطمية. ورغم أن الأعياد المسيحية كانت ذات طابع مسيحي، ويحتفل به الأقباط لإحياء مناسبات دينية، إلا أن المسلمين غالباً ما

كانوا يشاركون الأقباط في احتفالاتهم ويقدمون لهم التهنئة والهدايا في هذه المناسبات. وكان الخلفاء الفاطميين في معظم الأوقات يظهرون قدراً كبيراً من التسامح مع رعاياهم من القبط ويشاركونهم الاحتفال والابتهاج بأعيادهم، ويهبون لهم فيها الأكسية والأطعمة والأموال.

هوامش البحث

(١) المقدسي، محمد بن أحمد بن البناء البشاري، (ت. ٣٨٠هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي (القاهرة)، ١٩٩١م. ص٢٠٢

(٢) حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، المكتبة الأميرية (القاهرة)١٩٣٢م، ص١٩٩-٢١٠

(٣) كان للنصارى سبعة أعياد كبارهم: عيد البشارة والزيتونة أو الشعانين وعيد الفصح وخميس الأربعين والعنصرة وعيد الميلاد والغطاس وسبعة أعياد صغار هي: عيد الختان والأربعين وخميس العهد وسبت النور وأحد النور و التجلي والصليب. بالإضافة إلى عيد النيروز الذي لم يكن من الأعياد القبطية ولكن الاحتفال به توارث عن الأسلاف وكان يُحتفل به فى رأس السنة القبطية؛ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، القاهرة، مكتبة الآداب، (د. ت).، ج٢ ص٢٤-٣٣؛ القلقشندي: أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م) صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، الأجزاء (١ - ١٤)، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، (١٩١٣ - ١٩١٩)،ج٢، ص٤١٥-٤١٦-٤٢٠-٤٢٥؛ وهناك دراسات حديثة متخصصة في ذلك منها على سبيل المثال: سلام شافعي محمود: أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول، مجموعة تاريخ المصريين، ٧٥، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ م، ص١٨٧؛ ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس، كتاب النيروز، نوادر المخطوطات، الجزء الثاني، تشر عبد السلام محمد هارون، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١١ هـ/١٩٩١م، ص١٧، مقدمة التحقيق.

(٤) الأنطاكي، تاريخ،أو صلة كتاب أوتيخا، المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تحقيق، شيخو بيروت ١٩٠٩م ص ١٣٩؛ الأنبا ميخائيل، ذيل سير الآباء البطاركة، الجزء الثالث، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٦٤٣٤، ورقة ٤١

(٥) كان لليهود خمسة أعياد شرعية هي: عيد البشارة (رأس السنة) وعيد صوماريا أو (الكبور) وعيد المظلة والفطير والعنصرة أو الأسابيع واستحدثا اليهود عبد الفوز أو البوريم وعيد الحنكة أو الحانوكة؛ المقريزي، الخطط، ج٤ ص٣٦١؛ وللمزيد انظر قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر في العصور الوسطي

دراسة وثائقية، ط ٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩ م، ص١٢٦؛ اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثمانى، ط١، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧ م، ص ٦٠ يتبع هذه العزلة اليهودية التى اتبعها اليهود تجاه من يحيط بهم من أمم أخرى -الأغيار- مصدرها تعاليم الشريعة اليهودية، وتشير زبيدة عطا ان فقهائهم غضوا الطرف عن محاولات اليهود في أحايين عديدة الاندماج بالمجتمع الذي يعيشون فيه فامتهنوا الحرف والصناعات في المجتمع الإسلامي، زبيدة عطا، يهود العالم العربي ودعاوي الاضطهاد، دار عين (القاهرة) ،ص٢٦-٢٧.

(٦) آدم متز الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، نقلة إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة، أعد فهارسة رفت البدراوى، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م، ج٢ص٢٣٦؛ جاك تاجر، أقباط ومسلمون ص ١٤٦، ١٤٧؛ عبدالمنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، ط ٤، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤ م ، ص ٣٥٤

(٧) المقريزي، الخطط، ج٢ ص ١٦٤

(٨) ابن المأمون: جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون البطائحي (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م). نصوص من أخبار مصر، حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمي، الفرنسي للآثار الشرقية، (د. ت).، ص ٩٥؛ عبدالمنعم ماجد، نظم ورسوم الفاطميين في مصر،، ط ٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م ج٢ص١٣١-١٣٦

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣ص٥١٢-٥١٣

(١٠) مصطفى وجيه مصطفى، احتفالات الحج المصرية عصر سلاطين المماليك، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية (القاهرة)٢٠١٤م ص ٢٢

(١١) عن ذلك في العصر الفرعوني انظر: عبد العزيز صالح: الأسرة فى المجتمع المصري القديم، القاهرة، وزارة الثقافة و الإرشاد، ١٩٦١م، ص٥٠؛ إيمان محمد المهدي: صناعة الخبز فى مصر القديمة ، هئية الكتاب سلسلة تاريخ المصريين (القاهرة) ٢٠١٣م، ص١٢١

(12) canard،M، "Le ceremonial fatimide et le ceremonial byzantine - Essai de comparaison" Byzantion XXII،1951،p.356.

(١٣) ايمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، مكتبة الأسرة(القاهرة)٢٠٠٧م، ١٩-١١٨.

(١٤) ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، (ت ٧٩٩ هـ/ ١٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المكتبة التوفيقية (القاهرة) د.ت، ص٣٢.

(١٥) عن المظاهر الاحتفالية بالتفصيل انظر: إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص١١٨-١١٩.

(١٦) ابن ميسر: تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب بن راغب (ت٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) المنتقي من أخبار مصر، (انتقاء أحمد بن علي المقريزي) حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د. ت ص ٥٨

(١٧) القلقشندي، صبح، ج٤ ص٤٧؛ المقريزي، الخطط، ج٢ ص١٥٤؛ ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، أبو البركات، (ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٣ م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققه وكتب المقدمة محمد مصطفي، ج١، القسم الأول، ط ٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١ ق١ ص٣٦٢؛ ابن سودون، ديوان نزهة النفوس، ص١٨٥-١٨٦؛ أولج فولكف، القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص١١٤.

(١٨) كانت مصادر العصر تشير إلى أن حدود الوفاء كانت بين درجتي (١٦ - ١٨) ذراعاً وأن حد الشراقي والاستبحار هي ما نقصت أو زادت عن هذين الحدين القلقشندي، صبح، ج٣ ص٣٠٠.

(١٩) جدير بالذكر أن المعز لدين الله حين قدم للقاهرة "... منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى القائد جوهر. فلما تم... ستة عشر ذراعا وكسر الخليج،... أباح النداء..."وقد نال ذلك التصرف إعجاب شيخ مؤرخو مصر الإسلامية أحمد بن علي المقريزي، فقال:"... فتأمل، ما أبدع هذه السياسة فإن الناس دائما، إذا توقف النيل في أيام زيادته أو زاد قليلا يقلقون ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل، فيقبضون أيديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر، ويجتهد من عنده مال في خزن الغلة إما لطلب السعر أو لطلب ادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء، فإن زاد الماء انحل السعر وإلا كان الجذب والقحط. ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة..." المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت. ٨٤٥هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق حلمي محمد احمد، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية (القاهرة)٢٠٠٨م ج١ص١٣٨. ولكن عاد الأمر كما كان وصار يعلن عن الزيادة للعامة في السنوات التالية على اية حال

(٢٠) ابن الطوير: أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت٦١٧هـ/١٢٢٠) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تقديم وتحقيق أيمن فؤاد سيد، ط١، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ١٩٠، ١٩١؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٦٢، ص٣٨٩؛ عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥ م، ١٨٤؛ مروة عاطف حسن، وسائل التسلية والترفيه في مصر في العصر الفاطمي، (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ/٩٦٩ - ١١٧١ م)، رسالة ماجستير، بكلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، بالقاهرة، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م.، ص٥٤٤؛ السيد طه أبو سديرة: الحرف والصناعات في مصر الفاطمية منذ الفتح العربي حتي نهاية العصر الفاطمي (٢٠ - ٥٦٧ هـ/٦٤١ - ١١٧١م)، سلسة الألف كتاب الثاني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١ م، ص٣٢٢؛ نجوى كيره: حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، ط١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤ م، ص٣٢١.

(٢١) المقريزي، اتعاظ، ج١ص٢١٤

(٢٢) نفسه ج١ص٢٧٥

(٢٣) المقريزي، اتعاظ، ج٢ص١٠٠؛ وأمثله أخرى لاحتفالات الفاطميين بوفاء النيل في هذه الفترة المبكرة انظر: المسبحي، عز الملك محمد بن عبيدالله بن أحمد ت٤٢٠هـ، نصوص ضائعة من أخبار مصر، جمعها أيمن فؤاد سيد، isl. xvII ،1981ص٤٠؛ المسبحي، اخبار مصر، ج٤٠ تحقيق أيمن فؤاد سيد وغيره، نشر المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ١٩٧٨م، ص١٠-١١، المقريزي، الخطط، ج١ص٤٧٠؛ اتعاظ ج٢ص ١٣٤

(٢٤) راجع: ناصر خسرو: الرحالة الفارسي (ت ٤٨١ هـ/١٠٨٨ م) سفرنامة (رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، نقلها إلى العربية، يحيي الخشاب، ط٢، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠ م.، ص ٩٣ - ٩٧؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص ١٩٥ - ٢٠٣؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص ٣٦٢ - ٣٦٧

(٢٥) ابن الطوير: المصدر السابق، ص١٩٧، ١٩٨

(٢٦) ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ص٩٣-٩٧

(٢٧) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص٢٠٢؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٦٦، ٣٦٧؛ عبد الرحمن عبد التواب: منشآتنا المائية عبر التاريخ، المكتبة الثقافية ٩٦، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، أول نوفمبر ١٩٦٣ م، ص١١١؛ عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص١٨٨؛ عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م، ص٤٧؛ نظم الفاطميين، جـ٢، ص ٨٦، ص١٠٩.

(٢٨) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص ٧٥؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٣٧؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٢٩) وانظر المقررات الأخرى في هذه المناسبة عند: ابن الطوير: المصدر السابق، صفحات١٩٠، ١٩١، ٢٠٢؛ المسبحي: أخبار مصر، جـ١، القسم التاريخي، ص٦٥؛ نصوص ضائعة، ص١٣؛ ناصر خسرو: سفرنامة، ص١٠٨؛ ابن العديم: كمال الدين بن عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠ هـ/١٢٦١ م) الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، تحقيق سليمي محجوب، درية الخطيب، منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي، (الجزء الأول، ١٩٨٦ م)، (الجزء الثاني، ١٩٨٨ م)، جـ٢، ص٦٤٥، ٦٤٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص٣٠؛ الخطط، جـ٢، ص٢٢٠، ٣٦٢، ٣٦٦، ٣٦٧جـ٣، ص١٦٢؛ مسودة كتاب المواعظ، ص٧٧، ٧٨؛ محمد أحمد إبراهيم: صناعة الحلوى، مجلة المؤرخ المصري، العدد٣٧، ص٩٩.

(٣٠) تجدر الإشارة إلى أن الحلوى كانت تصنع وتوزع في الأعياد على نوعين: رطبة ويابسة، وقد بلغ مقدار ما يصنع منها كل يوم اثنى عشر جاماً نصفها يابسة، والأخرى رطبة، وكان وزن كل جام من الرطب عشرة أرطال، ومن اليابسة ثمانية أرطال، راجع: ابن المأمون: أخبار مصر، ص ٩٢، المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٧٤ ص٢٨٢، ٢٨٣؛ ابن عبد الظاهر: محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت ٦٩٢ هـ/١٢٩٢ م) الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، حققه وقدم له وعلق عليه، أيمن

فؤاد سيد، ط١، بيروت، أوراق شرقية، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م، ص٢٧، ٢٨؛، جـ٢،؛ ابن تغرى بردى ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت. ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء ج٤، تحقيق القسم الأدبي بدار الكتب المصرية، (القاهرة)١٩٧٠م، جـ٤، ص١٢٦، ١٢٧

(٣١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص١٠٣

(٣٢) المسبحي: نصوص ضائعة، ص١٢، ١٣؛ ابن المأمون: أخبار مصر، ص٣٦؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦.

(٣٣) هو الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور بن المستعلي بالله أحمد، بويع بالخلافة في صفر سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م وتوفي ليلة الثلاثاء ٢٠ذو لقعدة ٥٤٢هـ/١١٢٩م ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٧٦.

(٣٤) المقريزي، الخطط،ج٢ ص٣٠٨.

(٣٥) لم يكن ذلك الوئام الاجتماعي وليد العصر الفاطمي إذ تشير المصادر إلى أن حكام مصر في عصر الولاة كانوا يشتركون مع المسيحيين ورؤسائهم الدينيين في الصلاة من أجل زيادة النيل، إذا كان ناقصاً في موعد فيضانه مما يهدد البلاد بالقحط والجدب. وقد حدث مثل ذلك في ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر، فنقصت مياه النيل وتعرضت البلاد للقحط، فصلى من أجل زيادة النيل المسلمون، صلاة الاستسقاء، كما صلى القبط أيضا من أجل ذلك (سيدة كاشف، مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية، مجموعة تاريخ المصريين، رقم ٨٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ م، ص١٩٦) كما حدث نفس الأمر في العصر العباسي في ولاية أبي عون على مصر (١٣٣-١٣٦هـ) حين نقص النيل في عهده فخشي القبط من عاقبة ذلك، حيث سيقل الإنتاج وبالتالي الخراج، فلما كان يوم ١٧ من شهر توت، الموافق عيد الصليب عند المسيحيين خرج جميع المسيحيين بالجيزة من عامتهم وكهنتهم وحملوا معهم الأناجيل وأقاموا الصلوات في كنيسة القديس بطرس بالجيزة التي تشرف على النيل وقد ضاقت الكنيسة بالموجودين، وأخذ جيع المسيحيين يتضرعون لله بزيادة النيل فزاد في ذلك اليوم ذراعا، وصلوا ثانية، وقد شارك في ذلك أيضا اليهود والسامرة في الصلاة والدعاء من أجل زيادة النيل المبارك، (ابن المقفع، سير الآباء مجلد ١ج٢ص٢٠٨) أما المسلمون فقد خرجوا في اليوم التالي وعلى رأسهم الوالي أبو عون وجميع المسلمين واجتمعوا على شاطئ النيل، وصلوا وتضرعوا إلى الله عز وجل ليزيد لهم فيضان النيل)ابن المقفع، ساويرس بن المقفع: (أسقف الأشمونين)، المتوفي في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادى: تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة، (المجلد الثاني)، نشر يسي عبد المسيح، عزيز سوريال عطية، أسولد برمستر، القاهرة، مطبوعات جمعية الآثار القبطية،١٩٥٩-١٩٧٤م مجلد ١ج٢ص٢٠٨.

(٣٦) المقريزي، اتعاظ، ج٢ص١٥٠

(٣٧) بَشَنْس: الشهر التاسع من الشهور القبطية، وهو من فصل الربيع. المعجم الوسيط، جـ١، ص٦٠

(٣٨) المقريزي، الخطط،ج١ص٦٨؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت. ٩٠٢هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، (القاهرة)، ١٩٩٨م.،ج٢ص٢٦٩؛ أيضا: قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار الشروق (القاهرة)، ١٩٩٤م.ص ١٢٧.

(٣٩) المقريزي، الخطط ج٢ص٦٨-٦٩

(٤٠) ظلت احتفالات المجتمع المصري بهذا العيد الديني/القومي طوال عصر الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية والعقود الأولى من عصر دولة سلاطين المماليك التي تغير حال احتفال المصريين بهذا العيد فيها، إذ حدث سنة ٧٠٢ه ١٣٠١م أن أبطل الأمير بيبرس الجاشنكير الاحتفال بهذا العيد بسبب مظاهر الفساد والانحلال التي كانت تصحبه، وحاول الأقباط إعادته ثانية لقاء مبلغ من المال ولكنهم فشلوا. وظل الأمر على ما هو عليه حتى سنة ٧٣٨ه١٣٣٧م حينما أعاد السلطان الناصر محمد ابن قلاوون الاحتفال به. وكانت مدة إبطاله ستا وثلاثين سنة، ثم أبطل الاحتفال به نهائيا سنة ٧٥٥ه/١٣٥٣م بعد أن هدم الأمير صرغتمش الكنيسة، وأحرق التابوت الذي فيه الأصبع بحضور السلطان ثم ذري رماده في النهر انظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢ص٢٩٩؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط٣، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، ٢٠٠٩م.ج٢ص٩٢٦، ومزيد من التفاصيل عند: قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ص ١٢٨.

(٤١) عبدالمنعم سلطان، الحياه الاجتماعية في العصر الفاطمي ص١٨١.

(٤٢) النيروز: هو تعريب الكلمة الفارسية " نوروز " أى " اليوم الجديد ". راجع: ابن فارس: كتاب النيروز، نوادر المخطوطات، جـ٢، ص٩، ص٢٣؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣١ ويرجع البعض تاريخ الاحتفال بها إلى سليمان بن داود عليهما السلام المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٠؛ ابن فارس: كتاب النيروز، نوادر المخطوطات جـ٢، ص١٠ مقدمة التحقيق؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص١٦٨.

(٤٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢ص٢٧٣

(٤٤) كان الفرس يحتفلون به في أول يوم من السنة أيضاً، المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م).مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩ م، ج٢ ص٢٠٢، وكان احتفال أهل الشام به في اليوم الأول من يناير ويسمونه" القلندس" المسعودي، نفسه ج٢ص٤١٩.أي أن هذا العيد ليس له تاريخ ثابت لكن كل شعب يحتفل به في اليوم الأول من السنه عنده.

(٤٥) المقريزي، الخطط،ج٢ص٣٩٨

(٤٦) ابن ميسر: أخبار مصر، ص١٦٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٦٦، ٢٦٧؛ الخطط، جـ٢، ص٣١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص١٩٠؛ ابن فارس: كتاب النيروز، نوادر ومخطوطات، جـ٢، ص١٨؛ مقدمة التحقيق.

(٤٧) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٢٧٣؛ الخطط، جـ٢، ص٣١؛ ابن فارس: المصدر السابق، جـ٢، ص١٨؛ مقدمة المحقق

(٤٨) المقريزي، الخطط، ج٢ص٣٩٠-٣٩١

(٤٩) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص١٦٩.

(٥٠) ابن ميسر، أخبار مصر، ص٦٥؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣١، ص٣٩٠؛ ابن فارس: المصدر السابق، جـ٢، ص١٨، مقدمة التحقيق؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص١٧٠.

(٥١) ابن المأمون: المصدر السابق، ص٦٥؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٢؛ ابن فارس: المصدر السابق، جـ٢، ص١٨، مقدمة التحقيق؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص١٧٠

(٥٢) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٤٨؛ عبد المنعم سلطان : المرجع السابق، ص١٧٠.

(٥٣) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٢؛ عبد المنعم سلطان : المرجع السابق، ص١٧٠.

(٥٤) نفسه، ج٢ص٣٨٩

(٥٥) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت. ٧٣٣هـ)،، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب فواز، وغيره، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت)، ٢٠٠٤م.ج٢٦ص ٤٨

(٥٦)المقريزي، الخطط ج٢ص٣٨٩-٣٩٠

(٥٧) نفسه ج٢ص٣٩٠

(٥٨) المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ص٣٤٣

(٥٩) ميز المقريزي بين طبقات المجتمع المصري في العصر المملوكي ولكن ترتيبه للطبقات ينطبق على المجتمع المصري في عصور السيادة الإسلامية كلها والتي كانت كالتالي: أهل الدولة من الطبقة الحاكمة ثم يوضع فئات الشعب المصري فيشير إلى أهل اليسار من التجار وأولى النعمة ثم الباعة ومتوسطي الحال من التجار والسوقة ثم أهل الفلح ثم الفقراء وهم (جل الفقراء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم) ثم أرباب الصنائع وأصحاب المهن ثم الفئة الأخيرة من ذوي الحاجة والمسكنة، المقريزي، إغاثة الأمة، ص٧٢-٧٣ويلحظ على تقسيم المقريزي رغم شموله، الا انه أغفل العاملين بالجهاز الاداري من المسلمين وأهل الذمة، كما أدمج الاعراب في أهل الفلح، أيضا ادمج ارباب الوظائف كلها في بوتقة واحدة سواء كانوا ارباب وظائف كبرى ام صغرى تحت اسم ارباب الوظائف الديوانية

(٦٠) سيدة كاشف، مصر في عهد الطولونيون والإخشيدين، (بالاشتراك مع حسن أحمد محمود)، مجموعة الألف كتاب، رقم ٢٨٥، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د. ت). ص ٢٥١

(٦١) يحتفل الأقباط في مصر بهذا العيد في يوم ١١ طوبة وهو إحياء لذكرى قديمة عن المسيحيين، فيقال أن النبي يحيى بن زكريا المعروف عند المسيحيين بيوحنا المعمدان عمد المسيح عليه السلام في هذا اليوم أي غسله في بحيرة الأردن وعندما خرج المسيح من الماء اتصل به روح القدس، لذلك كان من التقاليد المسيحية تغطيس أولادهم في الماء في هذه المناسبة التي يطلقون عليها " يوم الغطاس " أو ليلة الحميم

(يحيي بن سعيد الانطاكي، ت ٤٥٨هـ، تاريخ الانطاكي، نشر لويس شيخو، بيروت ١٩٠٨م، ص١٩٦؛ القلقشندي، صبح ج٢ص٤١٦) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٦ ص٣٩١؛ شوقي ضيف: عصر الدول، ص٤٠٨.

(٦٢) الانطاكي، تاريخ الانطاكي ص١٩٦؛ وانظر: ابن ميسر، نصوص ضائعة، ص١٨، ١٩؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٦، ٢٧؛ اتعاظ الحنفا، جـ١، ص٣٣٤.

(٦٣) ابن أيبك، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت٧٠٩هـ)، كنز الدرر وجامع الغرر: الجزء السادس المسمى بالدرة المضية في الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، نشر المعهد الالماني (القاهرة)١٩٦١م، ص٤٢٦.

(٦٤) المقريزي، الخطط ج١ص٢٦٦؛ اتعاظ،ج١ص٢٤٢؛ ابن اياس، بدائع الزهور ج١ ص٥٨.

(٦٥) لم يكن خلفاء الدولة الفاطمية هم فقط من حرصوا على النزول بأنفسهم لمشاركة المصريين في احتفالاتهم القومية - أو الدينية/المسيحية التي اخذت طابع قومي في نفس الوقت مثل عيد الغطاس فقد شارك المصريون في احتفالهم بالغطاس سنة ٣٢٠هـ محمد بن طغج الأخشيد أمير مصر في ذلك الوقت، كما شارك المسلمون -كالعادة- في هذا الاحتفال وقد ترك لنا المسعودي وصفا حيا لاحتفالات المصريين وعلى رأسهم أميرهم محمد بن طغج قائلا: "... جلس الأمير محمد بن طغج الأخشيد في قصره بالجزيرة وأوقدت حوله الشموع والقناديل التي بلغ عددها ألف قنديل، هذا عدا ما أوقده الشعب من المسلمين والقبط، من القناديل والمشاعل والشموع، وحضر هذا الاحتفال مئات الآلاف من الناس، ولم يعد يوجد مكان لقدم واحد، إذ ملأ الحاضرون شواطئ النيل، وأسطح الدور والمنازل المجاورة، كما وجد كثير من الحاضرين، مكانه في القوارب وسط النيل، وارتدى الجميع أفخر الملابس وتزينوا بأجمل الحلي وأحضروا معهم صنوفا متنوعة من الطعام والشراب في أوان من الذهب والفضة، وأحضر الكثير منهم آلات العزف واللهو، وغطس كثير من الحاضرين في هذه الليلة في النيل، وهم يزعمون أن في ذلك أمانا لهم من الأمراض، كما أنه مبرئ للداء... وهذه الليلة من احسن الليالي في مصر، وأشملها سرورا، وفرحا، ولا تغلق فيها الدروب..." المسعودي، مروج الذهب، ج١ص٣٤٣-٣٤٤.

(٦٦) المقريزي، الخطط ج١ ص٢٦٦

(٦٧) ابن اياس، بدائع، ج١ ص٢١٢-٢١٣

(٦٨) المقريزي، الخطط ج٢ ص٩٦.

(٦٩) ابن المأمون: أخبار مصر، ص٦٣؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٧؛ ناريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين في الدول الإسلامية، (مجموعة تاريخ المصريين، رقم ٩٠)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.، ص١٧٠؛ محمود حسن احمد: الإسكندرية في العصر الفاطمي في الفترة (٣٥٨ - ٥٦٧هـ/٩٦٩ - ١١٧١م)، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالقاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٣٨٥؛ علياء يحيي علي الجبيلي: مدينة القاهرة في عهد الدولة الفاطمية، (٣٥٨ - ٤٨٧هـ/٩٦٨ -

١٠٩٤م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب للبنات، جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦ م، ص٤٣٠.

(٧٠) المقريزي، الخطط، ،ج١ص٤٩٥؛ ابن اياس، المصدر السابق، ج١ص٥٩

(٧١) ابن إياس: نفسه، جـ١، ص١١٣.

(٧٢) الغزولي: علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي الدمشقي (ت٨١٥ هـ/١٤١٢م) مطالع البدور في منازل السرور، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٩هـ/٢٠٠٠ م، جـ٢، ص ٣٩٨؛ السيوطي: منهل اللطايف في الكنافة والقطايف، تحقيق حسين نصار، القاهرة، دار الفضيلة، د. ت، ص١٦؛ حسن المحاضرة، جـ١، ص٥٦٨؛ حسين يوسف دويدار: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالقاهرة، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م، ص ٤٣٥.

(٧٣) عبدالمنعم سلطان، الحياة الاجتماعية ص ١٧٧

(٧٤) المقريزي، اتعاظ ج٢ ص١٦٣.

(٧٥) خميس العهد ويعرف أيضاً بالخميس المقدس أو خميس الأسرار وهو عيد مسيحي يسبق عيد الفصح وهو ذكرى العشاء الأخير ليسوع المسيح مع تلاميذه (وفقًا للإنجيل الكنسي(وهو اليوم الذي غسل فيه يسوع أرجل تلاميذه ووعظ فيهم بأن يحبوا بعضهم البعض كما أحبهم هو وترك لهم وصيته. ويقوم الكاهن في كثير من الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية بغسل أرجل المصليين ورشمهم بالزيت في هذا اليوم. النويري، ج١ص١٩٢-١٩٣؛ محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عنى بنشره وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، بيروت، دار الشروق، (د. ت) ج١ص٣٥٨-٣٥٩؛ أيضاً: القلقشندي: ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، (مختصر صبح الأعشى في كتابة الإنشاء)، عنى بطبعه وتصحيحه ومقابلته علي أصوله محمود سلامة، ط١، مصر، مطبعة الواعظ، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦ م، ص١٦٣؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٧؛ عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص١٧٤؛ ناريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين ن ص١٦٥؛ حسين يوسف دويدار: الحياة الاجتماعية، ص ٤٦٧.

(٧٦) المقريزي، الخطط ج١ص٢٦٦

(٧٧) ابن شداد: عز الدين أبى عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤ هـ/١٢٨٥م). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء الأول، القسم الأول، نشر وتحقيق دومينيك سوروبل، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٣ م.، جـ١، ق١، ص ٥٦؛ المقريزي: الخطط، جـ٣، ص ٢٧؛ عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، جـ٢، ص ١٣٥؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص ١٧٤؛

(٧٨) (المقريزي، الخطط، ج١ص٢٦٦

(٧٩) نفسه، ج١ص٢٦٦؛ ناريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين، ص ١٧٠؛ هويدا عبد العظيم: ❖ المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ م.، ص ٦٥.

(٨٠) كاتب مراكشي من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، جمهورية ألمانيا الاتحادية، جامعة فرانكفورت، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، الجغرافيا الإسلامية، المجلد ٢٦٦، ١٤١٨ هـ/١٩٧٧ م، عن طبعة الإسكندرية، ١٩٥٨، ص ٩٨؛ المقريزي: الخطط، جـ١، ص٢٥٤؛ جمال الدين الشيال، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧ م، ص ٣٥، ٣٦؛ هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر، ص٦٥؛ ناريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين، ص ١٦٥

(٨١) عيد الميلاد يُعتبر ثاني أهم الأعياد المسيحية على الإطلاق بعد عيد القيامة، ويُمثل تذكار ميلاد يسوع المسيح وذلك بدءًا من ليلة 24 ديسمبر ونهار 25 ديسمبر في التقويمين الغريغوري واليولياني غير أنه وبنتيجة اختلاف التقويمين ثلاث عشر يومًا يقع العيد لدى الكنائس التي تتبع التقويم اليولياني عشية 6 يناير ونهار 7 يناير ورغم أن الكتاب المقدس لا يذكر تاريخ أو موعد ميلاد يسوع فإن آباء الكنيسة قد حددوا ومنذ مجمع نيقية عام 325 الموعد بهذا التاريخ، كذلك فقد درج التقليد الكنسي على اعتباره في منتصف الليل، وقد ذكر إنجيل الطفولة ليعقوب المنحول في القرن الثالث الحدث على أنه قد تم في منتصف الليل، على أن البابا بيوس الحادي عشر في الكنيسة الكاثوليكية قد ثبّت عام 1921 الحدث على أنه في منتصف الليل رسميًا؛ يذكر أيضًا، أنه قبل المسيحية كان يوم 25 ديسمبر عيدًا وثنيًا لتكريم الشمس، ومع عدم التمكن من تحديد موعد دقيق لمولد يسوع حدد آباء الكنيسة عيد الشمس كموعد الذكرى، رمزًا لكون المسيح "شمس العهد الجديد" و"نور العالم "ويعتبر عيد الميلاد جزءًا وذروة "زمن الميلاد" الذي تستذكر فيه الكنائس المسيحية الأحداث اللاحقة والسابقة لعيد الميلاد كبشارة مريم وميلاد يوحنا المعمدان وختان يسوع، ويتنوّع تاريخ حلول الزمن المذكور بتنوع الثقافات المسيحية غير أنه ينتهي عادة في 6 يناير بعيد الغطاس، وهو تذكار معمودية يسوع .وكما هو معلوم، فنحن نحتفل بعيد الميلاد في مصر إلى الآن في ٢٩ كيهك وفقا لتقويمنا المصري والذي يصادف ٧ يناير في التقويم الميلادي وكان يقابل قديما ٢٥ ديسمبر حتى قام بابا روما جريجوري الثالث عشر بتعديل التقويم الميلادي في القرن السادس عشر .

(٨٢) ابن المأمون: أخبار مصر، ص١٠٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص ٢١١؛ الخطط، جـ٢، ص٢٥؛ ص ٣٩١؛ عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٧٥؛ على إبراهيم حسن: عظمة الفاطميين، مجلة الكتاب، جـ٣، جـ٢، ص٢٣٦؛ علياء يحيى على الجبيلي: مدينة القاهرة، ص٤٣٠؛ ناريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين، ص ١٧٠، ١٧١.

(٨٣) ابن الحاج:: أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، الفاسي المالكي (ت ٧٣٧ هـ/١٣٣٦ م) مدخل الشرع الشريف علي المذاهب، ط١، الأزهر المطبعة المصرية،١٩٢٩م، جـ١، ٥٨، ٥٩؛ قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر، ص١٦٤.

(٨٤) نوع من الحلوى الفاطمية، يتخذ من عجينة دقيق تمزج بلبن وماء ورد ولوز مدقوق يعمل منها حلقات وأقراص، وتترك بعض الوقت لتجف، ثم تغمس في عجين آخر وتقلى بالشيرج، ثم يصب عليها عسل نحل معقود ويذر عليها فستق مجروش (ابن العديم: الوصلة، جـ٢، ص٦٤٤، ٦٤٥؛ حلمي محمد سالم: حرف وصناعات الأطعمة والأشربة في مصر في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية،١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م، ص ١٤٨). فالقاهرة إذن من الحلواء المصرية التي ولدت في مصر الفاطمية والتي قُدِّر لها الانتشار في باقي الدول الأخرى سواءً في المشرق(ابن بطوطة: تحفة النظار، ص١٨٦) أو المغرب (ابن رزين التجيبي: أبو القاسم علي بن محمد بن أبي القاسم بن أبي بكر بن رزين التجيبي الأندلسي، (كان حياً في سنة ٦٤٠ هـ/١٢٤٢ م) فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، حققه وقدم له محمد بن شقرون، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤، ص ٢٤٨؛ كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، (مؤلف مجهول)، ص٩٥، ص٢١١، ٢١٢)؛ السيوطي: منهل اللطايف، ص١٦

(٨٥) ابن المأمون: أخبار مصر، ص١٠٤؛ المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٥، ص٣٩١؛ على إبراهيم حسن: عظمة الفاطميين، مجلة الكتاب، مج٣، جـ٢، ص٣٢٦

(٨٦) (المقريزي، الخطط ج١ص٢٦٥

(٨٧) نفسه،، ج١ص٢٠٧.

(٨٨) بركة الحبش: وهى تقع جنوب مدينة الفسطاط فيما بين جبل المقطم والنيل، وكانت محاطة بالحدائق والقصور ويقصدها الناس للنزهة، وقد ذكرها الشعراء ووصفوا جمالها وحسنها. راجع: المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٢٤٧ – ٢٥٢.

(٨٩) المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٢٥١.